

القصص

من الفن القصصي الحديث

زوج آخر ساعة

Le Mari de la Dernière Heure

للقصصي الإنجليزي ريس ديفز Rhys Davies

ترجمة على كامل

« ريس ديفز من أسفر القصصيين الإنجليز سناً . وهو كغيره من الكتاب الإنجليز المعاصرين شديد التأثر بالمذاهب الجديدة في علم النفس ، فراه في قصصه يمتد إلى التحليل الدقيق لشيء المواقف والتزامات التي تعصف بكل نفس إنسانية . والقصة التي ترجمها له اليوم قد ترجمت إلى عدة لغات حية »

نزلت مارية من غرفة نوم والدها وقالت لعمتها في هدوء وحزن كعادتها دائماً :

— لقد مات !

— فرفمت عمتها (آن) حينها من فوق الإنجيل الذي كان بين يديها ، وفتحت فاهما حتى آخره وقد اتسبها فزع عظيم ، ثم بحثت عن مندبليها ومسحت به عينها المعجوزين اللتين لا تتسرب إليهما الدموع ، ثم بكت وهي تقول :

— إلهم يذهبون جميعاً قبلي !

وفتحت مارية الدولاب وتناولت منه (التريكو) وجلست أمام النار كعادتها كل مساء ، وأخذت تشتغل باهتمام برغم ضجرتها وتمهاتها من السهر الطويل وعتابها بالبيت

فنزطت إليها عمها وهي تكاد تصمق من الدهشة ، ودب في جسمها النشاط وصرخت في وجهها قائلة :

— تحركي بامارية ، ليس هذا وقت (التريكو) . اذهبي وابحني

عن الستائر لنفطى بها النوافذ . ويجب أيضاً أن تغير للميت ملابسه وتقوم له بكل ما يلزم

على أن مارية لم تتحرك ، وبرغم أنها كانت منهوكة القوى كانت يظهر عليها دلائل فرح مرير ، فقد كان يبدو لها أنها تحررت مرة واحدة من قيود عنيده مؤلمة ، كانت تقول بصوت منخفض مخاطبة عمها (آن) :

— لقد كان والدي رجلاً فاسياً يا عمتي (آن) ، وكان كل يوم عنده يوم أحد . لقد جمل من هذا المنزل (مدرسة يوم الأحد) وكلم من مرات حققت عليه وكرهته ، وكانت والدتي تشبهه . وكنت أنا بين الاثنين كأنتي في جحيم لا يطاق في أثناء ذلك كانت عمتها (آن) تصعد تهنئات الحزن والألم . قالت الفتاة :

— إنها الحقيقة المرة ، والآن وقد مات الاثنان فاني أستطيع أن أحكم عليهما . لقد جملا مني فتاة مجوزا لم تر من متع الحياة شيئاً . فكنت لا أعرف غير الإنجيل من الصباح وعند الظهر وفي المساء

كانت الفتاة تتكلم بصوت ملؤه الحقد والمداوة ، وكانت ترتمش حسرة على نفسها . كانت تفكر في تلك الجثة الرافدة في الطابق الأعلى والسخط مستول عليها . كانت تريد البكاء ولكن دمة واحدة لم تجذبها عيناها . وكان وجهها الغليظ الذي بدا عليه الغضب والكبرياء منكباً على (التريكو) الذي بيدها . قالت :

— والآن وقد ضاعت خيراً أعوام حياتي في العمل في سبيلهما ، فسأبقى بقية حياتي وحيدة ، ولو كانا تركاني أخرج من المنزل لاستطمت أن أجد الفرصة لأتزوج

قالت عمها :

— مهلاً . إنك لازلت في الثلاثين من عمرك ، وفي استطاعتك الآن أن تجتهدى في إيجاد زوج لك . إنك بامارية فتاة قويمة الأخلاق تحسنين الطهي . إنك لست كفتيات اليوم

الطائشات ، وهناك كثير من الرجال الذين يبحثون عن فتاة مثلك ليتزوجوها

واستمرت مارية تشتغل في صمت . . . ثلاثة وثلاثين عاماً !
قبيحة النظر غليظة الجسم منكسرة القلب ! أى رجل ذلك الذى يريد مثل هذه الفتاة في هذه الأيام ؟

وتعليقها بخوف عظيم وهي تشتغل ، كم من الأشياء فقدتها في الحياة ! لقد أدركت تماماً أنها كانت تعيش بمسرة عن عالم السرور واللذات ، والآن فات وقت التمتع . ولكن ألم يعد هناك أمل في شيء ؟ قالت الفتاة :

- إنني أظن يا عمى (آن) أنه يحسن أن أبيع هذا المنزل وأقيم على ساحل البحر

فأجابت المرأة المجوز على الفور في غضب :
- لا تبادرى ببعثرة المال الذى تركه لك أبوك . هلا فكرت في ؟

وأجهشت العمه بالبكاء :
- هاهو ذا المال يمارية قد ابتداء يجعل منك فتاة منطقتة الآمال قاسية القلب . إنني أعرف نفسيك الآن

وخرجت العمه لرؤية البيت . وابتدأت عينا مارية الزرقاوان المنطقشان تلمعان من جديد ؛ إن التفكير في المال الذى ورثته وفيما يمنحه هذا المال من السلطان ، قد جعل حرارة السعادة تدب في جسمها الغليظ . غير أنها كانت تود أن تكون أصغر سنًا مما هي الآن . وكانت تعرف أيضاً أنها قبيحة النظر

ودخلت العمه آن قادمة من غرفة النوم وهي تقول : لقد رحل إلى العالم الآخر . إن وجهه جميل وطاهر ، والآن يمارية أى مجتاز نعمه إليه بالقيام بحفلة الجنائز ؟
فأجابت مارية :

- جون جوز . إنه أرخص من توماس إيفاز
- ولكن إيفاز ممن ينتسبون إلى الكنيسة القديمة . إن الذين يحترمون أنفسهم لا يد بفضولونه ، وعمره يانه أيضاً أكثر جمالاً .
قالت مارية بصوت الأمر :

ولكننى أفضل جون جوز . لقد كنت معه في المدرسة وكان دائماً مرقيقاً

فأجابها العمه آن وقد أخذها الغضب :

- إنه رجل أعزب طماع
وذهبت مارية وأحضرت الأقمشة البيضاء لتغطي بها النوافذ ، وكان ذلك علامة على أن الموت قد عرف طريقه إلى المنزل . ولم تسكد عمى عشر دقائق على ذلك حتى كان سيل الجيران قد ابتداء يتدفق ليروا الميت . وكانت العمه آن جالسة بجانب جثته . بينما كانت مارية في الطابق الأرضى تعنى بسخريه إلى كلمات الجملة والعزاء التى يوجهها اليها الزائرون
قالت إحدى النساء :

- ولكنك سوف تكونين في سعة من العيش ، فلقد ترك أيضاً وراءه مقادير غبئة من المال لا بأس بها . لقد كان دائماً متبصراً يا مارية . كان يشح من أجلك

فطقت مارية شفيتها بسخريه وابتسمت ابتسامة باردة وقالت :
- إن كل ما هنا قد عاد إلى . ولكنك عديمة الفطنة يا مسز هاوز . إنك تفكرين دائماً في المال

آه ! مثلك أنت . إنه يبدو عليك أنك فتاة غير طيبية من كل الوجوه يمارية ، ألا تدرفين دمة واحدة على أيبك المسكين ؟ ها أنت جالسة ككتلة من الثلج ، لا تعرفين الكلام إلا في كل ما لا يتفق مع الموقف الذى أنت الآن فيه !

وكان الجيران خارج الغرفة يتكلمون عن عدم تأثر الفتاة وجود عيناها اللتين لم تعرف الدموع الهماسيلا ؛ ولكن مارية كانت جالسة في هدوء ، مغممة القلب بالاحتقار والمداوة للجميع ، متمتعة في أعماق نفسها بأن تكون موضع أحاديث الناس ، هاتئة بذلك الدخل الذى سوف تناله عما قريب . وعندئذ شعرت أنها أصبحت مستقلة طليقة ، وفي نفس تلك الليلة آوت إلى سريرها في فراشها الوثير باستسلام شهوانى . وكأما الموت الذى أقبل إلى المنزل قد فتح في أعماق نفسها منبعاً من السرور العجيب

وفي صباح اليوم التالى أرسلت مارية عمها (آن) لتبحث عن المجتاز ، فخرجت آن وهي تتمم بمبارات السخط والغضب ، ولكنها كانت تنعزى كلما فكرت في أنها ستفوز بخمسة شلنات ، لتشتري بها ثوباً أسود وقبعة . كانت تقول لنفسها وهي تبكى :

- وإن دفنه بيدي جون جوز سيقلقه في مقره الأخير .
فمراته القديمة فرشها حقير للغاية . إنى أخجل منه

أن تكونى شحيحة هكذا فيما يتعلق بالآتم فوقفت مارية أيضاً ، وقد احمرت وجنتها من الغضب وصرخت :

- إنك تريد أن تسرق الأيتام الفقراء ، تريد أن تريح من فتاة لم يعد لها أب !

فضحك جون جوتز ساخراً :

- أيتام فقراء ! إننى متأكد أنك قد ترك مالاً وفيراً ،

ولكن ابنته تريد أن يدفن كما يدفن رجل معدم

وفرقت أصابعه بمصيبة ، ونظرت مارية إليه طويلاً ، وقد انخفض جفناها وعاد إليها خبثها من جديد ، ثم قالت :

- إننى أحب أن أراك غاضباً مهتماً ، إنك بهذا تكون أكثر رجولة ، ولكنك الآن أكثر غضباً مما يجب أن يكون عليه (حانوتى)

كان جون جوتز يسائل نفسه : كيف يترك هذا الرجل الموقر وراءه مثل هذه الفتاة الوحقة ذات اللسان البذىء ! على أنه تذكر تجارته التى كانت آخذة فى التدهور ، فقال بهدوء :

دعينا من هذا يامس مورجنز ، كونى أكثر عدلاً ، سوف أنظم لك جنازة نفحة بتسعة عشر جنيناً ونصف جنيه

وطلبت مارية من عمها أن تحضر الشاي لجون جوتز ، وأخرجت هى خبز ما عندها من الحلوى والفاكهة وأعطته منها كمية كبيرة

وفى يوم الدفن كان المطر يسقط مدراراً ، والسحاب مكفهرة ، والجو رديئاً . وكانت مارية حزينة لأنها أنفقت كثيراً من النقود فى شراء فستان أسود جميل وقبعة ، كانت تقول لنفسها بمصيبة متقلبة بين الحوانيت :

- سوف يعرفون أنه حتى من مورجنز الفقيرة اللبس تستطيع أن تبرهن على أنها سليمة الذوق

على أن المطر ضايقها كثيراً ، فقالت لعمها (آن) وهى ساخطة فى صباح يوم الدفن :

- سأضطر للذهاب لشراء معطف للمطر وشمسية جديدة ،

إننى دائماً سيئة الحظ ، وسوف يكون هذا النهار رديئاً

كان المطر يسقط والرياح تصفر بقوة شديدة بالقرب من

وعاد المنجز معها واستصحبته الى الدور الأعلى لكي يقبس جثة الميت ، ثم نزل الى الصالون حيث انتظر مارية وجاءت مارية ، فبادرها بقوله :

- ما أكثر وقار وجهه يامس مورجنز

فأجابته مارية فى الحلال بنظرة خبيثة قائلة :

- إن وجهك أنت سيكون أكثر هدوءاً ووقاراً حين يتوفاك الله !

فسألها وهو يهز رأسه الصغير :

- وكيف ذلك ؟ لقد عشت حتى الآن عاقلاً رزيناً

فقلت بنجث وهى تبحث له عن كرسى :

- لقد كنت فى المدرسة صبيلاً ماجناً خداعاً ، اجلس الآن ودعنا نتكلم فى الموضوع

كان جون جوتز شاباً نشيطاً عصياً أشبهه بمصفور .

أتى جون جوتز قبمته بجانبه ، وفرك يديه ثم وضمهما على ركبتيه التحيلتين كركبتي مراهق ، وكان يحاول عبثاً أن

يتظاهر بالبرود الحزين الذى يتناسب مع مهنته ، فقد كان خفيف الحركة ، ويبدو كأنها يثقله العمل الكثير ، وكانت

لحيته كأنها مخلوقة منذ برهة وجيزة ، كما أنه لم يكن ناجحاً فى عمله كتنافسه

قال جون جوتز ، وقد بدا على وجهه نوع من الاهتمام :

- أى نوع من التواييت تفضلين ؟

وعندما نظرت اليه مارية نظرة باسمة احمرت وجنتاه وتولاه الاضطراب . سألت قائلة :

- كم الثمن الذى تريده ؟

كانت مارية جالسة أمامه وجهاً لوجه تناقش الأثمان بعكر ودهاء عجيبين ، وقد مطت شففتها الغليظتين ، وبدأ عليها التفكير

والانتباه ، مما جعله يعجب بها رغم سخطه . وبعد حجاب طويل ، قال :

- إن كل شئ سوف لا يتكلف أكثر من عشرين جنيناً ، فهزت مارية رأسها قائلة :

- أن توماس إيفاز يأخذ أقل من هذا

فقفز جون جوتز من على كرسيه ، وقد تملكه الغضب وقال :

- إنك يهودية الى آخر حد يا مارية مورجنز ، إنه لا يليق

وعندما وصلوا إلى المنزل سعدت مارية إلى الطابق الأعلى لكي تخلع حذاءها الضيق الذي خرج أصابع قدميها . وكانت جموع الناس قد اجتمعت منتظرة الطعام الذي يمد عادة بعد الجنازة . وكانوا يملقون بأصوات خافتة من الجوع على كل ما حدث في الجنازة . أما مارية فقد فتحت صندوقاً مفلقاً بمفتاح ، وعلى وجهها ابتسامة خفيفة . وأخرجت منه علبة المسحوق الأبيض التي اشترتها بعد موت والدها ، ودهنت أنفها اللامع وخديها النحاسيين ، وهي في غبطة وسرور من هذا الأثم الجديد . وبعد ذلك لبست قرطها بهدوء . ثم أتجهت نحو السلم فرحة منتفخة كأنها ملكة مهيأة من جديد للنزول وعليها أمارات الأبهة والجلال . وفي أثناء نزولها سمعت أصوات بعض النسوة اللاتي كن يتكلمن عند المدخل بصوت منخفض ، فوقفت تنصت إليهن ، فسمعن

يذكرن اسمها . قالت إحداهن :
- لقد كانت دائماً سخيفة غبية . ولكنها اليوم كانت حقاً
وضيعة النفس لا يحمل قلبها ذرة من النبل . لقد كانت معجبة
بملابسها البسيطة كأنها في حفلة زواج
وقالت الأخرى :

- ألم تكن تفكر أنه كان يجب عليها أن تبكي على الأقل
اعترافاً بالجميل من أجل ذلك المال الكثير الذي تركه لها
- لقد كانت كشخصية مضحكة في مأساة محزنة . ما هذه
القبعة التي كانت تلبسها ! أي مرض في الذوق ذلك الذي جعلها
تلبس هذه القبعة في جنازة أبيها !
ونزلت مارية بهدوء . وعندما أحست النسوة بقدميها ابتدأن
يتكلمن بأصوات عن ساعة الدفن ، ونظرن إليها بعيون كلها شفقة
ورثاء . فنظرت إليهن مارية ، وقد كشرت عن أنيابها وصاحت :
- أخرجن من منزلي يا ذوات الألسنة البديسة . أخرجن
من هنا !

جفرت النسوة من وجهها الغاضب . ولكن إحداهن صاحت
لدى الباب :
- امسحي هذا المسحوق الأبيض الذي على وجهك ليثها
الفتاة المفتونة !

وبعد أسبوع ذهب جون جونز إلى المنزل ومعه قائمة حساب

القبرة ، وكانت مارية واقفة بجانب القبر متكئة بجسمها الضخم على ذراع ابن عمها تفكر في شميتها الحريرية الجديدة وتنعم النظر في الزهور التي تداعبها الرياح ، وتفكر بحسرة مريرة في شبابها النطقي . آه ! ولكن كم من الأوقات الطويلة السعيدة ستتمتع بها حين ينتهي كل ذلك ! لا ، إنها سوف لا تبسح منزلها وتعيش بميسر ، فستكون مجهولة لا يعرفها أحد إذا ذهبت إلى مكان آخر ، سوف تشتري كمية من الفساتين وتنشر (الموضة) في الحي الذي تعيش فيه ، وتدهش صديقاتها . وسرعان ما رأت نفسها تنزل إلى الدور الأرضي من الكنيسة في روعة يحسدها عليها الجميع . ولكن عندما أخذ الجميع يرتلون الترتيلة المحزنة الأخيرة فكرت من جديد في ألوان السعادة التي حرمت منها ؛ وأخيراً بكت ، تخفف بكأؤها كثيراً مما يشغل قلب عمها (آن)

وعندما أخذت مكانها في العربة أقبل (الحانوق) وفي يده غطاء غطى به ركبتيها وعلى وجهه أمارات التأثر ، ثم قال :
- إن داخل العربة بارد . إنك قادرة على كتم عواطفك
بشجاعة يا عزيزتي مس مورجنز
فأجابته بشموخ :

- أشكرك يا جون جونز ، أظن أنه لا بد لك من شئ من أجل هذا الغطاء !

وعندما دخل الجميع العربة أتجهت إليها عمها (آن) وقد بدا عليها الغضب ، وقالت :

- إنك تصرفين كما لو كنت قطعة من الخشب ، لقد أفسدت على عملية الدفن ، وكنت خجلة منك إلى أقصى حد
فقال ابن عمه الفتاة في صوت متأثر :

- يا عزيزتي ، لقد بكت عندما كنا نرتل الترتيلة الأخيرة ،
فأجابته العمه :

- آه ، عندما كان كل شيء قد انتهى تقريباً . سوف يتكلم
عنها كل من كانوا بالكنيسة
فقالت مارية بكبرياء :

إن كل ما يقولونه لا يهمني ، وأنت يا عمي (آن) عجوز
مرائية ، إنني أعرفك جيداً
ثم قالت ساخرة :

- إن كل ما في المسألة أنك تحسدني من أجل زوتي لا غير !

الأرتفاق . أليس كذلك ؟
فقالت مارية ضاحكة
- إنك تريد أن تعرف كل شيء !
وخرجت نائبة حاملة معها الكيس ، ثم عادت ومعها
زجاجة من النبيذ الفاخر وطبقاً من البسكويت . صرخت مارية
بنشوة وافتخار رافمة الزجاجة إلى أعلى :

- إنها الأولى في هذا المنزل
فقال جون جونز ضاحكاً أيضاً
- لقد كان والدك مدمناً على شرب الماء :
وبينما كانا يشربان كانت مارية تنظر من النافذة بنشوة كأنها
في حلم . ولكنها لاحظت أن الحانوتي يرمقها بنظرات عصبية
قالت مارية :

- لا ، إنني لم أضع بعد مشروعات . كنت أريد أن أنتقل من
هذا المنزل . ولكن فتاة غير متزوجة لا بد أن ستشعر بالوحدة
المضنية في مكان غريب . أما إذا وجدت زوجاً ورفقت
عينها الذابلتين نحوه . وكان هو من ناحيته ينظر إليها بتحديد شديد
لقد كان ذلك أكثر مما كان يأمل ، فشرب قدحه سريعاً ،
ثم رفع كوبته بيد مرتمشة وانحنى على ركبتيه أمامها ، وأمسك
بيدها وهو يتكلم بمبارات سريعة مضطربة قائلاً :

- خذي يا عزيزتي مس مورجنز . إنني أنا أيضاً أعزب
وحيد . لقد أحببتك منذ أن رأيتك أثناء دفن والدك هادئة
ووحيدة . حقاً إنني أخبك . إنني أشعر في أعماق نفسي بشيء
غريب نحوك

- فأخذت مارية تضحك ضحكاً طويلاً لا ينقطع ثم قالت :
- حسناً ! حسناً ! إنها مصادفة محيية . لقد كنت أعتقد
ياجون جونز أنك بخيل لدرجة أنك لا تستطيع أن تحب . هل
يحبنى من أجل ذاتي ؟

فقال جون جونز بحزن :
- إنك قاسية خبيثة
فأجابته في الحال بمجدة :

- أوه ! إنني لا أشعر بالحب نحو أى رجل ما . إنني أريد
أن أتزوجك ليكون لي اعتبار في أعين الناس . والآن كم يكون
هذا مفاجأة محيية بالنسبة لأولئك النسوة جميعاً !

على لامل

فأدخلته ماريه إلى الصالون ، ووضعت على الطاولة تسع عشرة
ورقة من ذات الجنيه ، فعد (الحانوتي) النقود بعناية . ثم التفت
إليها وقد احمرت وجنتاه . ثم قال رافعاً صوته :
- أرجو يا مس مورجنز أن تعطيني النصف جنيهه الباقي .
فأجابته :

- إذن قدم لي حساباً عن هذا المبلغ الضخم . لقد كانت
الجنائز متواضعة

فصاح وهو يهز قبضته بانفعال شديد :
- سوف أذكر لك ذلك أمام المحكمة . نعم سأقاضيك مطالباً
بمبلى أيتها المراية الشحيحة !

كانت مارية متشحة برداء من القطيفة السوداء . لابساً عقدها
وقرطها . معلقة ساعتها في رداؤها الضيق اللتصق بجسمها الفصـل
على آخر طراز . قامت مارية من على كرسيها وقالت بطريقها
الإنجليزية الرشيقة :

- لست ممن يتناقش مع الحانوتي من أجل نصف جنيهه . لقد
كنت أظن أنك رجل مهذب ولكن يظهر أنني كنت مخدوعة
ظل جون جونز صامتاً وكأنه تذكر فجأة شيئاً . فنظر إليها
بمبنيه اللامعتين اللتين تشبهان عيني قرد ، وقد بدا عليه الألم
والحسرة ، ولكن مارية خرجت من الغرفة ببرود وعادت وفي يدها
كيس من التيل ، وأخرجت منه حزمة منتفخة من أوراق
البنكنوت . فنظر جون جونز إلى النقود . وقال بصوت تبلله الدموع
- اغفري لي ثورتي يا مس مورجنز . لقد نسيت في فترة
غضبي الخسارة المؤلمة التي انتابتك . يا آلهي ! كم ستشمرين
بالوحدة ، إن عمرك ليست الرفيق اللازم لفتاة شابة . هلا وضعت
بمد مشروعات تقومين بها في المستقبل ؟

لقد كان قلبه الصغير الحساس يخفق حقيقة بحرارة رحمة
بمبارية التي لا أنيس لها . وابتسمت مارية ابتسامة خفيفة ، وهي
تعبث بيدها في أوراق البنكنوت ، بينما جون جونز ينظر إليها
وعليه أمارات التأثر
أجابت مارية :

- إنني لست متمجلة . فسوف أعيش بحالي في بسطة من العيش
فقال جون جونز :

- حقاً . ويمكنك أن تحصل على ثمن جيد لهذا المنزل وللأربعة
منازل الأخرى التي تقع في طريق المتاجم . لأنهم خالون من حق